أثر البيئة النباتية في غذاء ودواء أهل المدينة المنورة (١-٤٠هـ/ ٦٢٢-٦٦٠م)

أ. م. د. محمد عبد الله أحمد
جامعة الموصل – كلية الآداب

م. نكتل يوسف محسن

الملخص

لقد أكرم الله المدينة المنورة بأرض صالحة للزراعة تنبت الاشجار والزروع فضلًا عمّا تنتجه من منتجات طبيعية نباتية ذات فائدة في الغذاء والدواء، إذ انقسمت منتجات البيئة النباتية الصالحة للغذاء والمستعملة للدواء الى عدّة أصناف نباتية منها: الحبوب مثل: القمح، والشعير، والسلت، والحنظل، فضلًا عن الخضراوات مثل: السلق، والبصل، والقرع. ووُجدت الفواكه في المدينة المنورة ومن أبرزها: التمر، والعنب، والرمان.

وكان بعض هذه الاصناف داخلة في دواء اهل المدينة مع امتلاكها خاصية التغذية، ومن تلك: التمر، والزبيب، والدباء، فضلًا عن بعض النباتات الطبيعية مثل: الكمأ، والحبة السوداء، والبردي، وغيرها من النباتات الطبيعية والمغروسة.

وتوصّل البحث إلى عدّة نتائج منها: تنوع المحاصيل الزراعية في المدينة المنورة والتي تباينت من الحبوب والخضروات والفواكه، وكانت الادوية في المدينة المنورة بسيطة وغير مركبة تتكون من الاعتماد على النبات المزروعة، فضلًا عن النباتات الطبيعية مثل: الحبة السوداء، أو الشبرم، وغيرها.

الكلمات المفتاحية: البيئة النباتية، الغذاء، الدواء، عصر الرسالة، المدينة المنورة.

Al Malweah for Archaeological and Historical Studies, Vol 10, Issue 33, Aug 2023
P-ISSN: 2413-1326 \ E-ISSN: 2708-602X

The impact of the plant environment on the food and medicine of the people of Medina (1-40AH/ 622-660 AD)

Naktal Yousif Mohsen
Dr. Mohamed Abdullah Ahmed

University of Mosul- College of Arts

Abstract

God endowed Medina with arable land that grows trees and crops, in addition to what it produces of natural plant products that are useful in food and medicine, as the products of the plant environment that are suitable for food and used for medicine were divided into several plant varieties, including grains such as wheat, barley, celery and bitter melon, in addition to vegetables such as chard And onions and pumpkins, and fruits were also found in Medina, the most prominent of which are dates, grapes and pomegranates.

The research reached many results, including: the diversity of agricultural crops in Medina, which varied from grains, vegetables and fruits, and the medicines in Medina were simple and non-compound consisting of relying on cultivated plants, as well as natural plants such as black seed or fennel and others.

Keywords: Plant Environment, Food, Medicine, Era of the message, Medina.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم المرسلين وعلى اله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين.

يُعدّ الغذاء والدواء من المسائل الأساسية التي يحتاجها أيّ إنسان في حياته، وكان للبيئة النباتية تأثير واضح في هذا الجانب، فقد ذكرت المصادر عدّة أصناف نباتية للغذاء والدواء ومزجت في بعض الأحيان بين الاثنين بحيث يكون للنبات الواحد فائدة غذائية ودوائية معًا، ومن الاصناف الغذائية للمدنية التي ذكرت في المصادر: التمر، والقمح، والشعير، والبطيخ، والعنب، والاترج، والرمان. فضلاً عن السلق، والبصل، والكراث، والكرافس، وغيرها. أما النباتات الدوائية فقد ذكرت المصادر الكثير من المواد التي أخذت من المدينة وما حولها ولعل من أبرزها: الرجلة، والبسر، والبصل، والجمار (قلب النخل)، والريحان، وغيرها. وسيتم الحديث عن الأغذية والأدوية التي تنتجها المدينة المنورة دون غيرها.

ومن هنا جاء اختياري لموضوع البحث الموسوم بـ ((أثر البيئة النباتية في غذاء ودواء أهل المدينة المنورة من ١-٤٠هـ/ ٦٢٢-٦٦٠م))؛ لأهمية الغذاء والدواء للإنسان أولًا؛ ولتسليط الضوء على طبيعة الاطعمة والادوية المتعلقة بالبيئة النباتية في المدينة المنورة، فضلًا عن الافصاح عن منتجات المدينة المنورة من الفواكه والخضر وتسليط الضوء على المنتجات الطبيعة التي تشتهر بها.

- هل اعتمد المسلمين في المدينة المنورة في غذائهم ودوائهم على ما تنتجه من محاصيل
- هل كان هنالك تنوع في المحاصيل أم لا.
- هل شكل بعض المنتجات ثانية الغذاء والدواء أم لا.

ومن أهداف البحث

- بيان طبيعة المدينة المنورة الخضراء وابرز منتجاتها.
- توضيح أثر البيئة النباتية في غذاء ودواء اهل المدينة المنورة.
- تسليط الضوء على جانب من جوانب المجتمع في عصر الرسالة والراشدين.

وجاءت عدّة أسباب لاختيار موضوع البحث منها: أهمية الغذاء والدواء للإنسان أولًا؛ ولتسليط الضوء على طبيعة الاطعمة والادوية المتعلقة بالبيئة النباتية في المدينة المنورة، فضلًا عن الافصاح عن منتجات المدينة المنورة من الفواكه والخضر وتسليط الضوء على المنتجات الطبيعة التي تشتهر بها.

واتّبع الباحث المنهج التاريخي النقدي في كتابة هذا البحث الذي يهتم بمعالجة المشكلات الحاضرة في ضوء المعطيات التاريخية السابقة، واستعان الباحث بالمنهج التحليلي؛ لتفكيك أجزاء بعض النصوص وتوضيح المراد منها للقارئ الكريم.

والتزامًا بمنهج البحث العلمي تم استعمال المنهج النقدي التاريخي، وتم تقسيم البحث الى ثلاث مباحث رئيسة، إذ تحدث المبحث الأول في: أثر الحبوب في غذاء أهل المدينة المنورة، وكرس المبحث الثاني للحديث عن أثر الخضراوات والفواكه في غذاء أهل المدينة المنورة، في حين جاء المبحث الثالث مبينًا أثر البيئة النباتية في دواء أهل المدينة.

وأخيرًا لا أزعم أنَّ البحث قد استكمل جوانبه كافة؛ لوجود جوانب تستدعي المزيد من البحث والتقصي، ويبقى الكمال غاية ينشدها الجميع، ولكنها عزيزة إلا على الله، فإنْ كنت وفقت في هذا فذلك من الله وله الحمد والشكر، وإنْ كنت قد قصرت فذلك من نفسي.

المبحث الاول: أثر الحبوب في غذاء أهل المدينة المنورة

تمثل الحبوب قيمة كبرى في غذاء السكان؛ لكونها قابلة للتخزين شهور طويلة وليست كالخضروات والفواكه التي تكون سريعة التلف، ولا يسبقها في هذه الميزة الا التمر الذي يمثل قوت المدينة الأول –كما سنرى في محله من البحث–.

المطلب الاول: الحبوب المزروعة

يأتي (الشعير والقمح) في مقدمة تلك الحبوب التي يعتمد عليها أهل المدينة، وإنْ كان الرواج الأكثر للشعير – ولاسيما في عصر الرسالة –، إذ ذكر أنَّ غالب طعام الناس من الشعير(١)، ومنه طعام النبيﷺ وأهل بيته –عليهم السلام–(٢)، بحيث مثل المرتبة الثانية من حيث التوافر والاستهلاك الغذائي – بعد التمر –؛ لأنّه المادة الأساسية المكونة للخبز(٣)، والذي يدخل في أصناف كثيرة من المأكولات (٤)، ويبدو من حديث معاذ بن جبلﷺ مع أهل اليمن أنَّ المدينة كانت ذا نتاج جيد –نوعًا ما– من الشعير وحتى الذرة لذا فهو يستبدل الصدقات بأنواع من الثياب بدل الحبوب إذ قال: " ائتُوني بعَرْضٍ: ثيابٍ خَميصٍ، أَو لَبيسٍ في الصدقة، مكان الشعير والذُّرة، أَهوَنُ عليكم، وَخَيْرٌ لأصحاب رسولِ الله بالمدينة" (٥)، أما القمح فهو من أطعمة خواص الناس والذين يحبذونه رقيق (مرقق)، لذا نجد أنَّ النبيﷺ زهد فيه ولم يأكله(٦).

وعرفت الذرة في المدينة المنورة – من غير تأكيد على زراعتها – إذ كانت من النباتات التي تدخل في الخبز فقد ذكر أنَّ المسلمين اصابتهم مجاعة في إحدى الغزوات فدعا النبيﷺ بما فضل من أقوات الناس، فقد ذكر أنَّ الرجل كان يأتي على عهد النبيﷺ بكفّ الذرة يطعمه لأخيه(٧)، وكانت ضمن النباتات التي يتخذ منها الخمر(٨)، وذكرت المصادر نوعًا آخر من الحبوب يطلق عليه السلت وهو ضرب من الشعير ليس له قشر يشبه الحنطة يكون بالغور والحجاز وكان ضمن الاصناف التي تؤدى عنه زكاة الزروع(٩)، ومن الحبوب الأخرى الواردة في النصوص العائدة لتلك الحقبة السمسم(١٠)، الذي استعمل في تلك المدة.

المطلب الثاني: اثر الحبوب الطبيعية في غذاء أهل المدينة المنورة

عرفت بعض الحبوب التي تنمو بصورة طبيعية في المدينة واطرافها القريبة مثل: الحمزة وهي بقلة تلذع اللسان، وكان أنسﷺ يكثر من اجتناها حتى لقب بها(١١)، فضلًا عن الحنظل الذي يقطف حبه ويجمع قال قيس بن الخطيم(١٢)، يهجو الخزرج في إحدى معاركهم:

أَكُنْتُمْ تَحْسِبُون قِتالَ قَوْمي كأَكْلِكُمُ الفَغَايا والهَبِيدا (١٣).

والهبيد هو أسم يطلق على نقيع النقف: وهو حب الحنظل ينقع بالماء أيامًا ثم يزاد بالماء مرارًا حتى يفقد الحنظل مرارته(١٤)، وكان هذا الحب يؤكل –كما بيّن النص السابق– غير أنَّ

البيت السابق يثير التساؤل في إمكانية أكل الخزرجيين هذا الطعام وهم أهل تمر وفير، ولعل قيس بن الخطيم أراد في هذا الهجاء أنْ يأخذ أبعادًا مجازية وليست حقيقية، وهو أمر لا ينفي أنْ يأكله غيرهم من سكان البوادي.

غير أنَّ هذا الوضع في عصر النبوة تغير فيما بعد، إذ كثرت زراعة الحنطة وليّن الناس من أكلهم بعدما تحسنت أحوالهم، ولاسيما بعد فتوح العراق والشام التي سنتناولها بشيء من الإسهاب في موضعه المخصص من البحث.

المبحث الثاني: أثر الخضراوات والفواكه في غذاء أهل المدينة المنورة

المطلب الاول: أثر الخضروات في غذاء أهل المدينة

تمثل الخضروات والفواكه الأطعمة الطازجة التي توفرها بيئة المدينة المنورة النباتية في مزارعها، أنْ وردت في العديد من الأصناف النباتية في المصادر الحديثية والتاريخية، فالسلق من الخضروات التي كانت تزرع في المدينة إذ ذكر أنَّ امرأة كانت تصنع السلق والشعير وتطعم بعض الصحابة يوم الجمعة إذ ذكر سهل بن سعد(١٥)، قائلًا كان فينا امرأة، في مزرعة لها على أربعاء سلق، وكانت تأخذ إذا كان يوم الجمعة فتنزع من أصول ذلك السلق فتجعله في قدر، ثم تجعل عليه قبضة من شعير، ثم تطبخه فيكون أصول السلق عراقة قال سهل: كنا ننصرف من صلاة الجمعة فنسلم عليها، فتقرب ذلك الطعام إلينا فنلعقه، فنتمنى يوم الجمعة لطعامها ذلك(١٦)، وعرف القِثاء فقد نقل عن النبيﷺ أنّه كان يأكله مع الرطب عن عبد الله بن جعفر، قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل القثاء بالرطب (١٧)، وعرف الدباء (القرع)، وهو من الاطعمة التي يحبها رسول اللهﷺ كما ذكر أنس " أنَّ خياطًا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم، لطعام صنعه فذهبت مع رسول الله ﷺ، إلى ذلك الطعام. فقرب إليه خبزا من شعير، ومرقا فيه دباء قال أنس: رسول الله صلى الله عليه وسلم، يتبع الدباء من حول القصعة؛ فلم أزل أحب الدباء بعد ذلك اليوم"(١٨)، فضلًا عن ذلك عرف الثوم والبصل والكراث في المدينة، إذ ذكر جابر ﷺ أنَّ رسول اللهﷺ: نبه على عدم أكل البصل والثوم والكراث عند القدوم الى المسجد؛ لأنَّ ذلك ممّا يؤذي الناس رائحته (١٩)؛ بسبب ما تخلفه هذه النباتات من رائحة.

وعرف أهل المدينة نبات الهندباء(٢٠)، وجاء فيها عدة أحاديث تعطي لها نوع من القداسة، ولكن تلك الاحاديث مرسلة وضعيفة لا تصح (٢١)، ومع هذا فإنَّ تلك الاحاديث تثبت وجودها في المدينة المنورة أنذاك كإحدى أنواع الخضر، وورد ذكر نبات القصب (قصب السكر) في أحاديث النبيﷺ من غير تأكيد أنّه زرع في المدينة ولكن ما دعانا إلى ذكره ضمن نباتات المدينة شيوع استعماله في عدة نصوص وبمجالات مختلفة تجاوزت الاكل إذ ذكره معاذ ضمن عدة محاصيل

أعفاها النبيﷺ من زكاة العشور الخاصة بالزروع إذ قال: "... فأما القثاء والبطيخ والرمان والقصب والخضر فعفو عفا عنه رسول الله ﷺ "[٢٢]، وورد كذلك في الحديث رجالًا ذكر ابا هريرة عن النبيﷺ أنّهم يظهرون في آخر الزمان تكون لهم جلودًا ألين من جلود الضأن وألسنة أحلى من السكر وقلوب الذئاب [٢٣]، وكان المسلمون يتخللون[٢٤] به فيؤذون أنفسهم، الامر الذي استدعى التحذير من ضرره إذ روي أنَّ النبيﷺ: نهى عن تخليل الاسنان بمادة القصب[٢٥]، [٢٦]، ونهى عنه الفاروقﷺ في خلافته تأكيدًا على ذلك عندما نفر (ورِم) فم الرجل عقِب تخليله أسنانه به [٢٧].

المطلب الثاني: أثر الفواكه في غذاء أهل المدينة

أما الفواكه فورد عدة أنواع منها، التمر الذي يمثل إحدى خواص الفواكه في المدينة المنورة، فقد ورد ذكره في القرآن الكريم، وأنّه ضمن الفواكه التي تكون في الجنة فضلًا عن الرمان [٢٨]، ويُعدّ من الاطعمة الشائعة التي تنتجها بيئة المدينة المنورة النباتية وذلك بحكم فائدته للمجتمع ووفرته ورخص أسعاره، وهو الأمر الذي دعا النبيﷺ ببيان ذلك فقال ﷺ يا عائشة: ((بيت لا تمر فيه جياع أهله)) [٢٩]، معبرًا عن كونه قوت البلد الذي لا غنى عنه، ويؤكل التمر منفردًا ويدخل في أكلات مركبة مثل: الحيس[٣٠]، فضلًا عن دخوله في أشربة أهل المدينة الخمر – قبل التحريم والنبيذ[٣١]، فقد سئل معقل بن يسار عن الشراب فذكر أنَّ المدينة كانت قبل الإسلام وبدايته تعجّ بالخمور والتي يصنع بعضها من التمر ويطلق عليه الفضيخ وهو خليط من البسر والتمر وقد انتهى المسلمون عن شربه حين نزل تحريمه [٣٢]، ووجد العنب في المدينة المنورة فضلًا عن التمر، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في أكثر من آية فقد ذكر الله تعالى أنَّ الماء الذي ينزله الله يخرج من النخل والاعناب انواعًا عديدة ذكرها في كتابه الكريم وقد بين الله – عز وجل– أنَّ تلك الجنان في الارض مختلفة الالوان والاشكال فقال –عز وجل–: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾ [٣٣]، وتناول الناس العنب كغذاء فضلًا عن استعماله – بصورة نسبية – في صناعة الخمر الذي كان رائجًا أول الهجرة حتى تحريمه القطعي بعد غزوة أحد في السنة الثالثة للهجرة[٣٤]، وعلى الرغم من ذلك استمر اليهود – لحين خروجهم –، وأفراد من المسلمين بشربها في عصر النبوة والراشدين[٣٥]، واتخذ من عصير العنب المطبوخ شراب الطلاء[٣٦]، والذي كان معروفًا في ذلك الوقت، وقال الكثير من الصحابة والتابعين: إذا ذهب ثلثاه وبقى ثلثه فجائز شربه [٣٧]، وأضاف محمد بن الحسن الشيباني[٣٨]، قائلًا: لا باس اذا

شرب المسلم شراب الطلاء فهو لا يسكر أما المسكر فلا خير فيه [٣٩]، ودخل العنب في صنع الخل[٤٠]، وكان يستعمل كإدام يغمس فيه وجاء عن جابر بن عبد الله أنَّ النبي ﷺ قال: نعم الادام الخل[٤١]، مما يعطي دلالة على توافره والاعتماد في الغذاء، وإنْ كانت وفرته لا توازي وفرة التمر في المدينة المنورة.

ومن الفواكه الأخرى المعروفة آنذاك البطيخ فقد ذكرت عائشة (رضي الله عنها) أنَّ النبيﷺ كان يأكل البطيخ بالرطب[٤٢] [٤٣]؛ بسبب برد البطيخ الذي ينضج في الصيف وكان النبيﷺ يأكله مع الرطب، فضلًا عن الرمان الذي ذكر في القران الكريم[٤٤]، وورد ذكره في الحديث النبوي[٤٥]، وفي الأثر أنَّ ميمونة[٤٦]، (رضي الله عنها) رأت حبة رمان ملقاة على الارض فأخذتها وهي غاضبة؛ لأنّها نعمة لا يجوز أنْ تلقى على الارض [٤٧]، وذكر أنَّ رسول الله –صلى الله عليه وسلم– خرج ذات يوم والناس يتكلمون في القدر، قال: فاحمر وجه النبيﷺ حتى كان حبات الرمان فقأت على وجهه من الحرمة، قال: فقال لهم: ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض ؟ بهذا هلك من كان قبلكم[٤٨]، الامر الذي يرجح وجوده في المدينة – بصورة نسبية قياسًا بغيره من الفواكه –

المبحث الثالث: أثر البيئة النباتية في دواء أهل المدينة

أعتمد سكان المدينة المنورة في علاجهم على أنواع معينة من النباتات المزروعة والطبيعية التي توجد في المدينة المنورة، فضلًا عن تلك التي تأتي عبر التجارة من الخارج، ولكن طبيعة البحث وحدوده الموضوعية والجغرافية تلزمنا تناول العلاج المعتمد على النباتات المزروعة أو التي تنمو طبيعيًا فيها، وتلزمنا طبيعة الموضوع ألّا ندرج الرقى بالأذكار وآيات القران التي كانت تستعمل في عصر الرسالة وما بعده كإحدى العلاجات ضمن هذا المطلب.

المطلب الاول: أثر الفواكه في دواء أهل المدينة المنورة

لقد سدّ مجيء النبيﷺ الى المدينة المنورة ثغرة كبيرة في جانب الاستطباب والمعالجة فيها؛ لندرة من كان يعمل بها في حرفة الطب آنذاك، فكانت أحاديثه وتوجيهاته في هذا المجال غنية جدًا لمجتمع المدينة خاصة وشبه الجزيرة العربية عامة في هذا العصر وما بعده، وأصبحت أقواله في هذا الجانب مصدر إلهام للمسلمين والذي عرف لديهم بالطب النبوي وجعل من النباتات المستعملة أشياء ذات قيمة تعالج الامراض المتنوعة مثل: الصداع، والحمى، والتهاب الحلق، وغيرها[٤٩].

وكان تمر المدينة في طليعة النباتات التي استعملت للعلاج، عن سعد بن ابي وقاص[٥٠] ﷺ قال: مرضت فزارني رسول الله فقال: " إنك رجل مفؤود[٥١] فأت الحارث بن كلدة[٥٢] أخا ثقيف، فإنه رجل يتطبب، فمره فليأخذ سبع تمرات من عجوة المدينة فليجأهن بنواهن، ثم ليضعهن على الالم " [٥٣]، وذكر أنَّ أحد المسلمين اشتكى ألمًا من ضرسه الايمن فأرشده النبيﷺ أنْ يأكل شق تمرة على ضرسه الأيسر[٥٤]، ووصفه للنساء اللواتي رزقن بمولود[٥٥]، مما يعزز قيمة التمر في علاجات ذلك الوقت، وأضاف احد الباحثين ذلك قائلًا: " إنَّ خواص التمر النضيج يلائم بصورة كبيرة علاج آلام الولادة وما تحدثه من تغييرات على جسم المرأة " [٥٦]، فضلًا عن التمر وصف النبيﷺ الزبيب بكونه: يصفي اللون ويشد العصب ويطفئ الغضب وغيرها من المميزات التي ينماز بها هذا العنصر [٥٧].

المطلب الثاني: أثر الخضروات والنباتات الطبيعية في دواء أهل المدينة

أوردت المصادر العديد من الخضروات والنباتات الطبيعة استعملت في العلاج فضلاً عن خواصها الغذائية ومن تلك الاصناف القرع وفوائده الطبية، فقد جاء عن النبيﷺ أنّه أوصى بالقرع والاستكثار منه؛ لأنّه يزيد في الدماغ –أي: الذكاء– عليكم بالقرع فإنّه يزيد في الدماغ [٥٨][٥٩]، وكذلك نبات الريحان الذي هو: كلّ نبت طيّب الريح من أنواع المشموم[٦٠]، وقيل: هو نبات الآس[٦١]، وباستقراء النصوص التي أشارت إليه بصفة التعيين يرجح المعنى الثاني، إذ وردت فيه إشارات تدلّ على زراعته ودخوله في هذا المجال، فقد سُئل الخليفة عثمان بن عفان، في المُحرم يدخل البستان قال: نعم، ويشمّ الريحان[٦٢]، دلالة على وجدوه في المدينة آنذاك، من غير تأكيد على استخلاص العطر منه ويكون الإفادة منه عبر شمّه أو فركه باليد؛ لتكسبها رائحة زكية، وعلى الرغم من إشارة أمير المؤمنين الى ماء الريحان وأثره في التطيّب[٦٣]، من غير توضيح عمّا إذا كان ماء الريحان هذا عصارة النبات نفسه أم منقوعه ؟ فقد وردت فيه إشارات تدلّ على زراعته ودخوله في المجال الطبي في المدينة المنورة، فقد سُئل الخليفة عثمان بن عفانﷺ، في المُحرم يدخل البستان قال: نعم، ويشمّ الريحان[٦٤]، دلالة على وجدوه في آنذاك، وقد استعمل حبّه (الشبرم) للعلاج، إذ استعملته أسماء بنت عميس –رضي الله عنها–[٦٥]، لداءٍ ألمّ بها [٦٦]، واستعمل القثاء والرطب للتسمين فقد روت عائشة –رضي الله عنها– أنّها استعملته قالت: قبل أنْ أدخل الى النبيﷺ ارادت والدتي أنْ تسمّنني فأطعمتي إياه حتى سمنت كأفضل السمن[٦٧].

فضلًا عن النباتات المزروعة في المدينة المنورة كان للنباتات الطبيعية دور في العلاج والتداوي، فقد أوردت المصادر الكثير منها ولعلّ نبات الكمأة[٦٨]،أحدها فقد ورد عن النبيﷺ أنّه قال: " الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين"[٦٩]، ووُجد نبات الصعتر[٧٠] الذي ينبت مرافقًا لأحد

أشجار المدينة[٧١]، استعمله المسلمون لتبخير بيوتهم وتطهيرها[٧٢]، وذُكر نوع بريّ منه يسمّى بـ(الندغة)[٧٣]، واستعملت بقلة الرجلة (الحمكة) لعلاج القروح التي تخرج في القدم، إذ روي أنَّ النبيﷺ رأى الرجلة وفي قدمه جرح فتداوى بها فنفعته فدعا الله أنْ تنبت في أيّ مكان [٧٤]، [٧٥]، وذُكر أنَّ عبد الله بن مسعود[٧٦]، كان يجمعها للنبيﷺ كلما ظهرت قرحة في رجله[٧٧]؛ لما كان يمتلكه من خبرة في هذا المجال أخذه من اشتغاله بالرعي، وذكر أنّها تنبت طبيعيًا في مجاري المياه والاودية[٧٨]، وقد تزرع بذورها المستخلصة منها، فقد أشارت أحد المصادر لذلك من غير تأكيد على زراعتها في المدينة المنورة في الحقبة الزمنية (مدّة البحث)[٧٩]، واستعمل البردي وهو نبات ينمو في المياه له خاصية في ايقاف النزيف[٨٠]، استعمل في علاج جروح النبيﷺ في إحدى المعارك إذ وُضع على الجرح فتوقف النزيف، وذكر سهل وهو يسأل عن جرح النبيﷺ فقال: كنت حاضرًا عندما قدم النبي ونحن معه من غزوة أحد وكان يعاني جراحات فصبّت عليه فاطمه ماء وأحرقت قطعة حصير عندما رأت الدم لا يتوقف بالغسل فوضعته على الجرح فتوقف الدم[٨١]، وذكر أنَّ لأشجار الأثل المنتشرة في المدينة المنورة خواصًا علاجيةً إذ ذُكر أنَّ رماده يشدّ اللثة ويجلي الأسنان ويقطع الدم[٨٢]، ولعلّه يحمل الخواص العلاجية نفسها التي يحملها القصب والذي أوضحناه في النص السابق.

أما الحبة السوداء فقد أكّد النبيﷺ على العلاج بها وأهميتها[٨٣]، فعن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول للشونيز: " عليكم بهذه الحبة السوداء، فإنَّ فيها شفاء من كلّ داء إلا السام يريد الموت" [٨٤]، وقد ذكرت إحدى المصادر أنّها زُرعت في المدينة المنورة [٨٥]، وهو مصدر بعيد جدًا عن عصر الرسالة والراشدين فضلاً عن أنّه لم يذكر صراحةً بزراعته في تلك الحقبة أو قريبًا منها، ولم أجد ولو إشارة ضعيفة تدلّ على وجودها في المدينة في هذه الحقبة ممّا يضعف الاعتماد عليها؛ بكونها زرعت في تلك الحقبة الزمنية، وللزيتون أيضًا خواص علاجية وقد ورد ذكره في النصوص الحديثية[٨٦]، إذ ذكر النبيﷺ أنَّ عود شجرته هو أفضل عود يستاك به[٨٧]، وورد عن النبيﷺ أنّه قال: " نِعم السواك الزيتون من شجرة مباركة، يطيب الفم، ويذهب بالحفر هو سواكي، وسواك الأنبياء قبلي"[٨٨]، ممّا يعطي نوعًا من التلميح بوجود شجرة في المدينة أو قريبًا منها، في حين فرض عمر بن الخطاب وعبد الله بن العباس وغيرهما من الصحابة –رضي الله عنهم– عليه عشر المحصول[٨٩]، وذكر أحد المختصين: أنَّ بين الزيتون والعنب تقاربًا بحيث تقبل ارض العنب الزيتون فقال: إنَّ بين العنب والزيتون محبة ومشاكلة ولكن الزيتون يبعد عن العنب لفائدة العنب[٩٠]، ومعروف أنَّ الاعناب منتشرة في المدينة المنورة، وأشار نصّ في العصر الاموي الى منابت الزيتون في المدينة المنورة[٩١]، إذ أصبح

بمثابة نقطة دالة على موضع فيها، ممّا يعطي دلالة على وجوده في المدينة قبل ذلك الوقت للدرجة التي عرف بها موضع زراعته بـ " منابت الزيتون "، ولعله ممّا استحدث زراعته في نهاية عصر الراشدين ومع قيام الدولة الاموية، الأمر الذي يعكس قيمة البيئة النباتية وخواصها العلاجية في المدينة المنورة.

الخاتمة

ممّا تقدّم يتبيّن لنا ما يأتي:

١. أهمية الغذاء والدواء للإنسان في مجتمع المدينة المنورة والإنسان عمومًا.
٢. تمّ تناول النباتات والمحاصيل الزراعية والطبيعية التي تنتجها المدينة المنورة فقط، وابتعد البحث عن المحاصيل الزراعية والطبيعية التي تأتي عبر التجارة.
٣. تنوّع المحاصيل الزراعية في المدينة المنورة والتي تباينت من الحبوب إذ القمح والشعير والذرة.
٤. كانت الحبوب الطبيعة مثل: الحنظل، والسلت، والحمزة حاضرة في المدينة المنورة وإنْ كانت أقل استعمالًا قياسًا بغيرها.
٥. فضلاً عن الحبوب مثلت الخضروات أحد اطعمة وأدوية المسلمين في المدينة المنورة والتي تمثلت بالسلق، والبصل، والقرع، والقثاء، والهندباء، وغيرها من الخضروات.
٦. كانت الفواكه –على الرغم من قلّتها– غذاء أهل المدينة ودوائها وتمثلت بالتمر، والرمان، والعنب.
٧. استعملت بعض النباتات للغذاء وبعضها للدواء وجمع البعض الآخر ما بين الدواء والغذاء.
٨. كانت الأدوية في المدينة المنورة بسيطة وغير مركبة تتكون من الاعتماد على النبات المزروعة، فضلًا عن النباتات الطبيعية مثل: الحبة السوداء أو الشبرم وغيرها.
٩. حظيت المدينة المنورة بعناية الكثير من الباحثين والمؤرخين والجغرافيين؛ كونها بلد النبيﷺ ومركز دولته ومهاجر أصحابه؛ لذا سلّط الضوء على الكثير من تفاصيل المدينة ومنها الغذاء والدواء فيها.

الهوامش

References

(١) ابن الاثير، مجد الدين المبارك بن محمد الشيباني (ت ٦٠٦هـ)، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط – بشير عيون، مكتبة الحلواني، (مصر:١٩٧٠)، ٥٦٣/١.

(٢) القسطلاني، شرح شمائل النبيﷺ عليه السلام – مخطوط، ورقة ١٥٠–١٥١.

(٣) محسن، نكتل يوسف الحياة اليومية للمسلمين في المدينة المنورة في عصر الرسالة من(١–١١هـ)، رسالة ماجستير، كلية الآداب، (جامعة الموصل: ٢٠١١)، ٩٣.

(٤) محسن، الحياة اليومية، (٩٨–٩٩).

(٥) البخاري، محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، (اليمامة: ١٩٨٧)، ٥٢٥/٢.

(٦) البخاري، صحيح، ٢٠٥٩/٥.

(٧) احمد، بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ)، المسند، دار قرطبة، (بيروت: ١٩٩٨)، ١١/٣. قال شعيب الارنؤوط اسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٨) ابن الجاورد، عبد الله بن علي النيسابوري، المنتقى من السنن المسندة، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، مؤسسة الكتاب الثقافية، (بيروت: ١٩٨٨)، ٢١٨.

(٩) يحيى بن آدم، الخراج، ١٤٩.

(١٠) النووي، يحيى بن شرف النووي (ت ٧٦٧هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط٢، دار إحياء التراث العربي، (بيروت:١٩٧٢)، ٥١/٣.

(١١) أحمد، مسند، ١٦١/٣.

(١٢) قيس بن الخطيم الاوسي شاعر يثرب وفارسها ومن الناس مَنْ يفضله على حسان أقام على شركه وأسلمت امرأته فكان يؤذيها وكان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– تصله أخباره فلما هاجر طلب منه الكفّ عن ذلك ففعل إلا أنّه لم يسلم توفي قبيل الهجرة. ينظر: الجمحي، محمد بن سلّام بن عبيد الله، طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، (جدة: د.ت)، ٢٣٠/١–٢٣٢.

(١٣) الغفايا: لفظ يطلق على ما غلظ من التمر. أما الهبيد فهو حبّ الحنظل ينقع بالماء مرارًا ثم يؤكل. ينظر: الأوسي، قيس بن الخطيم، ديوان قيس بن الخطيم، تحقيق: ابراهيم السامرائي – أحمد مطلوب، مطبعة العاني، (بغداد: ١٩٦٢)، ١٨.

(١٤) ابن منظور، لسان العرب، ٤٣١/٣.

(١٥) سهل بن سعد: بن مالك الخزرجي الأنصاري صحابي جليل شهد مع النبيﷺ تبوك، كانﷺ كثير الرواية وقد عمّر طويلاً وشهد خلافة الوليد بن عبد الملك وكان آخر مَنْ توفي من الصحابة في المدينة سنة: (٩١هـ – ٧٠٩م). ينظر: ابن سعد، طبقات، ٣٧٦/٥؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ٦٦٤/٢–٦٦٥.

(١٦) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، علق عليه: العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة، (بيروت: ١٩٥٩)، ٥/ ٣٥.

(١٧) ابو داؤد، سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي، مسند أبو داود الطيالسي، تحقيق: محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، (القاهرة: ١٩٩٩)، ٢/٢٨٤.

(١٨) مالك، الموطأ، ٣/٧٨٥.

(١٩) أبو الحسن بن الحجاج القشيري (ت: ٢٦١هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ الشهير بصحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، (بيروت: ١٩١٥)، ١/ ٣٩٥.

(٢٠) الهندباء: بقلة من احرار البقول وهي ضربان بريّ وأهليّ، والبرّي يسمّيه الاطباء بـ(الطرخشوف). ينظر: الحبيشي، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، البركة في فضل السعي والحركة، مطبعة الفجالة الجديدة، (القاهرة: د.ت)، ٢٦٨.

(٢١) البيهقي، شعب الإيمان،٥/١٠٥.

(٢٢) الزيلعي، نصب الراية، ٢/٣٨٦. قال الزيلعي في تخرجيه اختلاف فقد صححه الحاكم وضعف اسناده احمد.

(٢٣) الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة، الجامع الكبير المعروف بـ سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، (بيروت: ١٩٩٨)، ٤/١٨٢. ذكره ولم يعلق عليه.

(٢٤) الخلِة: ما يبقى من طعام بين الاسنان والتخليل إدخال شيء لتنظيفه وإزالته. ينظر: الجوهري، الصحاح، ج٤/١٦٨٧.

(٢٥) الحديث إسناده ضعيف. ينظر: العقيلي، محمد بن عمرو المكي، الضعفاء الكبير، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار المكتبة العلمية، (بيروت: ١٩٨٤)، ٤/١٠٣.

(٢٦) المقدسي، ذخيرة الحفاظ، تحقيق: د. عبد الرحمن الفريوائي، دار السلف، (الرياض: ١٩٩٦)، ٥/٢٤٩٥. ذكر المقدسي أنَّ الحديث فيه ضعف في الإسناد.

(٢٧) البيهقي، شعب الايمان، ٨/١٧٤.

(٢٨) الرحمن، الآية: ٦٨.

(٢٩) مسلم، صحيح، ٣/١٦١٨.

(٣٠) الحَيْسُ: الخَلْطُ، ومنه سِمّي بـ(الحِيسُ)، وهو تمرٌ يخلط بسمنٍ وأقط. ينظر: الجوهري، الصحاح، ٣/٩٢٠.

(٣١) النبيذ: هو أنْ ينبذ التمر او الزبيب في إناء ماء ليأخذ من حلاوة الزبيب والتمر –من دون أنْ يتخمر– فيشربه ثلاثة أيام فيأمر به فيراق. ينظر: ابن ابي شيبة، عبد الله بن محمد، المصنف في الأحاديث والأثار، ضبطه وعلق عليه: سعيد اللحام، دار الفكر، (بيروت: ٢٠١١)،٥/٤٨٣. بتصرف

(٣٢) ابن ابي شيبة، المصنف، ٥/٥٠٥.

(٣٣) الأنعام، الآية:٩٩؛ الرعد، الآية:٤.

(٣٤) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، (بيروت: ٢٠٠٠)، ٥٧١/١٠.

(٣٥) البخاري، صحيح، ١٣٥١/٣.

(٣٦) الطلاء: ما طبخ من عصير العنب حتَّى ذهب ثلثاه. ينظر: الجوهري، الصحاح، ٢٤١٤/٦.

(٣٧) ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف، شرح صحيح البخاري لابن بطال، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، ط٢، (الرياض: ٢٠٠٣)، ٥٨/٦.

(٣٨) محمد بن الحسن الشيباني: مولى لبني شيبان، حضر مجلس أبي حنيفة سنتين ثم تفقه على أبي يوسف، وصنف الكتب الكثيرة ونشر علم أبي حنيفة قال فيه الشافعي رحمه الله: حملت من علم محمد وقر بعير وقال: ما رأيت أحدًا يسأل عن مسألة فيها نظر إلا تبينت في وجهه الكراهة إلا محمد بن الحسن مات بالري سنة سبع وثمانين ومئة. ينظر: الشيرازي، طبقات الفقهاء، ١٣٥.

(٣٩) مالك، الموطأ، ٢٥١.

(٤٠) ابن منظور، لسان العرب، ١٣/ ٢٢٣.

(٤١) الترمذي، سنن، ٣/ ١٨٢.

(٤٢) اسناده صحيح ورجاله ثقات. ينظر: المناوي، محمد بن تاج العارفين بن علي، التيسير بشرح الجامع الصغير، مكتبة الإمام الشافعي، ط٣، (الرياض: ١٩٨٨)، ٢٦٨/٢.

(٤٣) الترمذي، الشمائل المحمدية، ١٢١.

(٤٤) الرحمن، الآية: ٨٦.

(٤٥) الثوري، أبو عبد الله سفيان بن سعيد، من حديث الإمام سفيان بن سعيد الثوري، رواية: السري بن يحيى عن شيوخه عن الثوري تحقيق: عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية، (بيروت: ٢٠٠٤)،١٤٣.

(٤٦) ميمونة: بنت الحارث بن حزن الهلالية من بني عامر بن صعصعة زوج النبيﷺ تزوجها سنة سبع في عمرة القضية، وكان اسمها برة بغيره رسول الله، روت عن النبيﷺ أحاديث كثيرة ولاسيما تلك التي تتعلق بحياة النبيﷺ داخل مع أسرته، وتوفيت سنة ٦١للهجرة. ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري، الطبقات الكبرى، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، (القاهرة: ٢٠٠١)، ١٢٨/١٠؛١٣٣؛١٣٥.

(٤٧) ابن سعد، الطبقات، ١٣٤/١٠.

(٤٨) احمد، المسند، ١٧٨/٢.

(49) khafagi, A Voyage in the world of Plants as Mentioned in the Holy Quran, 243.

(٥٠) سعد بن مالك بن وهيب الزهري كان من أوائل المسلمين في مكة اشترك في الغزوات فضلاً عن السرايا وكان أول من رمى بسهم في سبيل الله وحضر المشاهد مع النبيﷺ واعتزل الفتن وكان مستجاب الدعوة حتى توفي سنة خمسين للهجرة. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ٣/ ١٢٧؛١٢٩؛١٣٣؛١٣٧.

(٥١) المفؤود: هو الرجل الذي أصيب فؤاده – غشاء القلب وقيل: القلب نفسه – فيوجعه فيتقيء دمًا. ابن منظور، لسان العرب، ٣٢٩/٣؛ وينظر: ابي داؤد، السنن، ٧/٤.

(٥٢) الحارث بن كلدة: بن عمرو بن علاج واسمه عمير بن أبي سلمة بن عبد العزى بن غيرة بن عوف بن ثقيف، وكان طبيب العرب وحكيمها، وكان النبيﷺ يأمر من كانت به علة أنْ يأتيه فيسأله عن علته لم يثبت إسلامه واسلم ابناؤه. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ٦٧/٨.

(٥٣) ابن سعد، الطبقات، ٤٦/٣.

(٥٤) أبو نعيم، أحمد بن عبد الله، الطب النبوي، تحقيق: مصطفى خضر دونمز التركي، دار ابن حزم، (بيروت: ٢٠٠٦)، ١/ ٣٨٢.

(٥٥) أبو يعلى، مسند، ٣٥٣/١.

(56) Nazri, The Descripttions of Date Palms, 408.

(٥٧) ابن مفلح، محمد بن مفرج المقدسي، الآداب الشرعية المنح المرعية، مؤسسة الرسالة، ط٣، (بيروت: ١٩٩٩)، ٢٦/٣.

(٥٨) الحديث مرسل في سنده انقطاع. ينظر: الزرقاني، شرح الزرقاني، ٢٤٧/٣.

(٥٩) البيهقي، شعب الايمان، ١٠٢/٥.

(٦٠) ابن منظور، لسان العرب، ٤٥٨/٢.

(٦١) ابو نعيم، الطب النبوي، ٤٦٢/٢.

(٦٢) ابن المقرئ، أبو بكر محمد بن إبراهيم الخازن، المعجم لابن المقرئ، تحقيق: أبي عبد الرحمن عادل بن سعد، مكتبة الرشد، (الرياض: ١٩٩٨)، ٣٣٨.

(٦٣) ابن ابي شيبة، المصنف، ١٣٠/٣.

(٦٤) ابن المقرئ، المعجم، ٣٣٨.

(٦٥) اسماء بنت عميس: الخثعمية أخت ميمونة زوجة النبيﷺ، كانت من المهاجرات ممن لها هجرتان: هجرة الحبشة وهجرة بالمدينة، هاجرت الى الحبشة ثم الى المدينة تزوجت جعفر بن ابي طالب وخلف عليها أبا بكر ثم علي بن ابي طالب توفيت سنة ٣٨هـ. ينظر: ابو نعيم، معرفة الصحابة، ٣٢٥٥/٦-٣٢٥٧.

(٦٦) ابن ابي شيبة، المصنف، ٤٢٤/٥.

(٦٧) أبو داود، سنن،١٥/٤.

(٦٨) الكماة: وهي نبات تكون في الأرض من غير أنْ تزرع، وسميت كمأة؛ لاستتارها، وتكون مخفية تحت الأرض لا ورق لها، ولا ساق وهي ممّا يوجد في الربيع، ويؤكل نيئا ومطبوخا، وتسمّيها العرب بـ (نبات الرعد)؛ لأنّها تكثر بكثرته، وتنفطر عنها الأرض. ينظر: ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب؛ زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، ط٢٧، (بيروت: ١٩٩٤)، ٢٣٩/٤.

(٦٩) البخاري، صحيح، ١٦٢٧/٤.

(٧٠) الصعتر: من البقول، بالصاد، هو ضرب من النبات، واحدته صعترة، وبها كني البولاني أبا صعترة وهو ممّا ينبت بأرض العرب. ينظر: ابن منظور، لسان العرب،٤ /٤٥٧.

(٧١) الصالحي، سبل الهدى والرشاد، ٢٢٢/١٢.

(٧٢) ابو نعيم، الطب النبوي، ٥٩٣/٢.

(٧٣) الاصمعي، كتاب النبات والشجر، جمعه ودققه: أوغست هفنر، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، ط٢، (بيروت: ١٩٠٨)، ١٨.

(٧٤) الحديث مرسل ضعيف. ينظر: العراقي، زين الدين عبد الرحيم، المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، دار ابن حزم، (بيروت: ٢٠٠٥)، ٨٥٦.

(٧٥) أبن ابي اسامة، بغية الباحث، ٥٧٩/٢.

(٧٦) عبد الله بن مسعود الهذلي: من حلفاء بني زهرة كان يعمل راعيًا عند عقبة بن ابي معيط، اسلم مبكرًا ولازم النبيﷺ وحفظ من القران وكان اول مَنْ جهر به في مكة، هاجر الى الحبشة مرتين ثم الى المدينة وشهد بدرًا وغيرها من المشاهد وكان من فقهاء المسلمين توفي سنة ٣٢هـ. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ١٣٩/٣-١٤٥.

(٧٧) أبو نعيم، مسند الإمام أبي حنيفة، ٢٣٥.

(٧٨) الرسولي، بغية الفلاحين، ٢٢٤/٢-٢٢٥.

(٧٩) ابن بصال، كتاب الفلاحة، ١٥٥.

(٨٠) الحبيشي، البركة، ٢٦٩.

(٨١) الواقدي، المغازي، ٢٥٠/١.

(٨٢) المدني، الفصول السنية، ٢٤.

(٨٣) ابن راهويه، مسند،١٧٥/١؛ وينظر: مؤلف مجهول، طب أهل بيت النبي عليه السلام- مخطوط، ورقة ٥٦.

(٨٤) معمر بن راشد، جامع، ١٥٢/١١.

(٨٥) خربوتي، الفلاحة المدنية، ٣٨.

(٨٦) الطبراني، المعجم الكبير، ٢٨١/٢.

(٨٧) الشيباني، الأحاد، ٢٥٨/٣؛ وينظر: ابن حجر، التلخيص الحبير، ١٢٠/١. وقال ابن حجر في اسناده ضعف.

(٨٨) الطبراني، المعجم الاوسط، ٢١٠/١.

(٨٩) ابن زنجويه، الاموال، ١٠٣٤.

(٩٠) الزبيري، نسب قريش، ٢٤٦.

(٩١) النابلسي، علم الفلاحة، ٥٥.